Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ممَّا ألهاهم عن رواية الشعر. فلما (اطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلى ديوان مدوّن ولا كتاب مكتوب، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقلّ ذلك وذهب عليهم منه كثير)[8].

على أنهم لم يلتفتوا إلى ذلك القليل ولم يطلبوه للتدوين إلاَّ بعد أن اطمأنوا إلى أداء مهمات أكبر وأجل عندهم، وهي كتابة القرآن الكريم بعد مقتل كثير من القرّاء في حروب الردّة، ثم بعد تفرّغ علماء متخصصين في رواية الحديث وجمعه وتدوينه.

ومن هذا صارت شهادة أبي عمرو بن العلاء: (ما انتهى إليكم ممّا قالت العرب إلاَّ أقلّه، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير)[9]. وهي شهادة تتردّد في كل كتب التراث وهي ـ إذن ـ مقولة حيّة ماثلة في أذهان الرواة والمدونين، وفي كامل وعيهم. ممّا يدفع بالجميع إلى التمسّك بذلك القليل رواية وتدويناً. وصار لرواة هذا القليل سوق علمية تجعل مصداقية الراوي وذاكرته أساساً يفوق ذاكرة النص وتنمحي أمامه شروط النصوصية والشعرية، ويتم قبول القصيدة مهما كانت مختلّة لأن الراوي مقبول، وليس لأنها تحمل أسباب القبول بذاتها. فالقبول ـ إذن ـ للراوي وليس للقصيدة. وإذا ما صار التدوين هنا فإنه تدوين لذاكرة الراوي ـ بشفاهيتها الواضحة ـ وليس تدويناً للنص كما قاله صاحبه. والفارق ما بين النص الأصلي والنص المدوّن هو تلك المسافة الزمنية منذ لحظة الإنشاء إلى لحظة التدوين، مع ما داخلها من تعاقب الرواة وتغيّر الظروف وتبدل الأحوال، إضافة إلى عيوب الحفظ وانقطاع سلسلة السند.